يومية تواكب اسبوع المدى الثقافي العدد الاول السبت (٢٢) نيسان ٢٠٠٦

اسبوع المدى مرة اخرى

شاكر الأنباري

كان آخر اسبوع للمدى قد اقيم، قبل سقوط النظام بسنة تقريبا، في دمشق، وكان وقتها تظاهرة عربية يصعب تكرارها. اليوم حين نتذكر هذه السنوات التي نفصلنا عن ذلك المهرجان، احس وكأن هناك ملايين السنين الضوئية قد مرت، وان احداثا جساما تناسلت وتفجرت، لا في العراق حسب، بل في المنطقة برمتها.

ايام المدى تلك كانت بحق نوعا من اثبات الحضور، من كبرياء المثقف المهاجر، الذي يظل يستدير الى الوطن بعيون قلقة، ولكنها مليئة بالأمل.

مؤسسة المدى استطاعت بذلك الاصرار والتحدي، وتشبثها بثقافة الوطن الحقيقية، ان تجعل من دمشق ركيزة لثقافة عراق المستقبل، المحلوم به من قبل الملايين، عراق الثقافة المستنيرة الفاعلة البعيدة عن الانغلاق، والمواكبة لما يجري في العالم.

وهذا كله بالحقيقة رسالة مؤسسة المدى في كل مشاريعها.

اعادة التواصل مع تقاليد المدى في اسابيعها السنوية، وفي داخل العراق، يتطلب شجاعة كبيرة، بسبب الظروف غير الملائمة التي نمر بها في العراق، بالنسبة للثقافة اولا والحياة بشكل عام، ثانيا. لكن رغم قسوة الظروف التي تمر بها بغداد العاصمة، الا ان اقامة هذا الاسبوع في كردستان العراق يمتلك ايضا دلالته البعيدة، دلالة التواصل مع الثقافة الكردية، سواء كمكان او كانسان، فهي تشكل احدى ركائز الثقافة العراقية المتعددة الينابيع والأصول والمشارب.

جمع المثقفين الكبير هذا، سيذكرني حتما بفعالية سابقة، عقدت في كردستان ايضا، حين احتفلت بمئوية الجواهري في كل من اربيل والسليمانية، حين شارك عشرات المثقفين العرب في هذه الاحتفالية، وكانت ردا حقيقيا على كل تشكيك يؤخذ على الشعب الكردي وقياداته تجاه العراق.

تمثالان للجواهري شاعر العرب الأكبر، احدهما في اربيل والثاني في السليمانية، في حين حذف النظام في بغداد آنذاك اي اثر لشاعر العرب الأكبر من كل مدن العراق، وتلك مفارقات لا يمكن نسيانها، وهي تتكرر اليوم بعد ان حدث ما حدث، وكأن التاريخ يعيد نفسه، لكن هذه المرة بطريقة اخرى.

فكردستان العراق تجمع المثقفين مرة اخرى، عراقيي الخارج والداخل. المثقفين العرب، المثقفين الأكراد. والجميع يمنعهم الارهاب والتكفير واشاعة الفوضى الطائفية من الاحتفاء بالثقافة في بغداد، كما تفعل شعوب العالم . يقول غوبلز انه يتحسس مسدسه ما ان يسمع كلمة ثقافة. ومن أسف اننا نجد هكذا نمط من البشر بين ظهرانينا، انهم لا يتحسسون المسدسات بل يضغطون على الزناد.
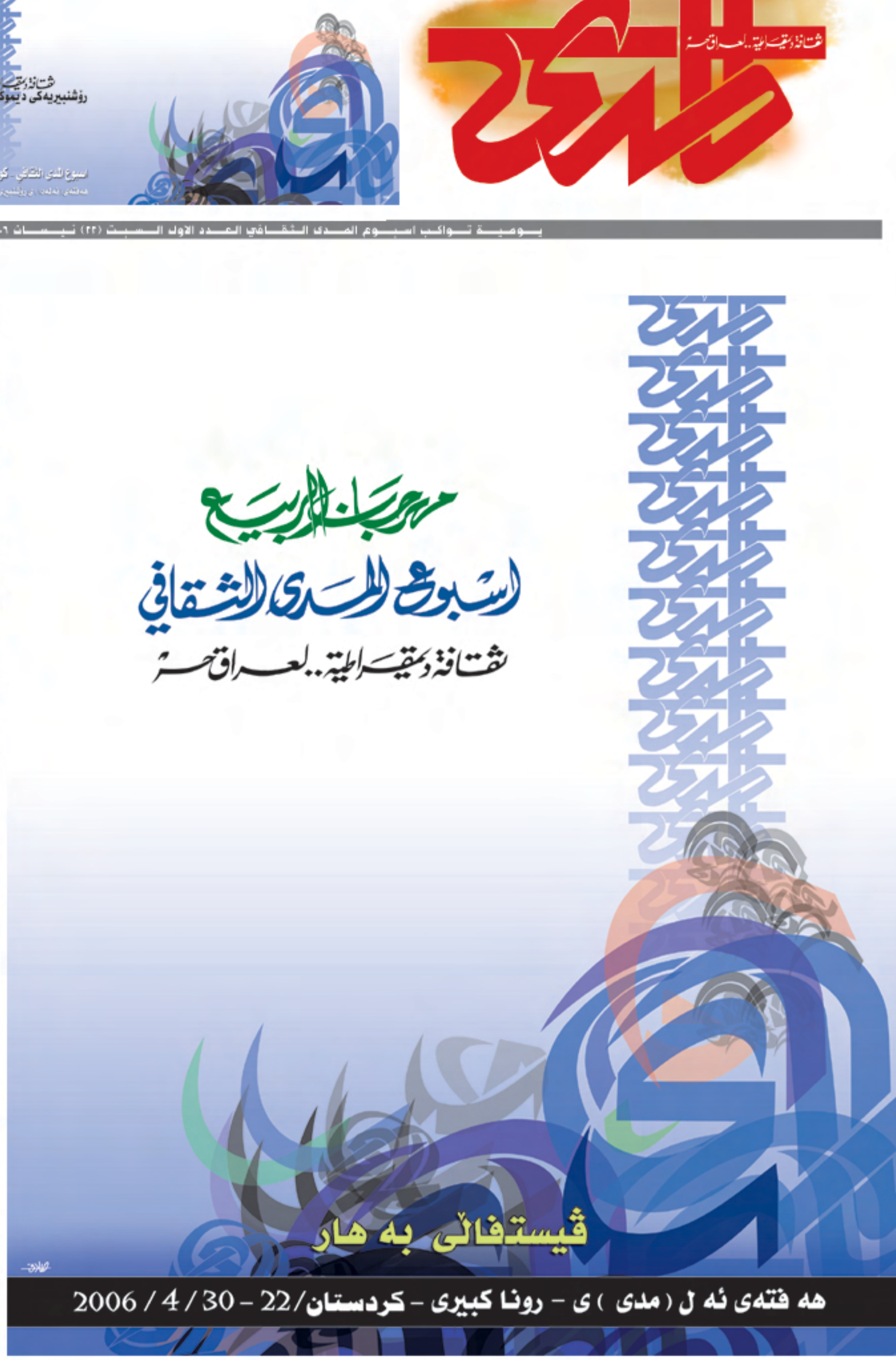
وهكذا ذهب ضحية الكلمة آلاف من المثقفين والصحافيين والأساتذة الأكاديميين، لكن رغم كل ذلك فالكلمة الصادقة والشريفة والحرة ستصل الى الناس، سواء جاءت من اربيل ام السليمانية ام البصرة. الظلامية التي تحاول بسط اذرعها على حياتنا لن تعمر طويلا، فتجربة الثلاثين سنة الأخيرة علمت نا ان لا بقاء الا للخير والمحبة والنور، اما الزبد فيذهب جفاء.